

صور الذات في الخطاب القصصي

أقصوصة "بيت من لحم" ليوسف إدريس أنموذجا.

Self-images in Narrative Discourse

The Short Story "Bayt min Lahm" (House of Flesh) by Youssef Idris as an Example

د. المكي بن محمد عائدي^{1*}

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والعلوم الإنسانية

جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية.

m.aydi@qu.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2023 / 05 / 18 - تاريخ القبول: 2024 / 05 / 24 - تاريخ النشر: 2024 / 06 / 30

ملخص:

نسعى في هذه الدراسة إلى تبين تجليات صور الذات في الخطاب القصصي من خلال أقصوصة «بيت من لحم» ليوسف إدريس. فقد بدا لنا أنّ الجانب الخطابي في هذا النصّ شديد البروز، وأنّ عناية المؤلف فيه تتّجه، بالأساس، إلى صياغته على نحو يجعل حضور الخطاب أبرز من الحكاية. وقيام هذه الأقصوصة على إظهار ملامح الذات وهي تتكلّم أساسا، يجعلها نصّا يرشح بمعتقدات المتكلّم القائل وأحكامه وما يُظهره من نفسه من مواقف إزاء ما يقول وإزاء المخاطب. ومن ثمّ تنصرف عنايتنا إلى تبين مظاهر ثلاثة تكشف عن آليات اشتغال الخطاب وطرائق إنتاج المعنى، هي: صورة الذات المنشئة للخطاب، ودواعي تضخّم

* المؤلف المرسل: د. المكي بن محمد عائدي

الخطاب مقابل ضمور الحكاية؛ وصوره الذات الموجهة للخطاب توجيهها معرفيا وتقويميا؛ وصوره الذات النازعة إلى المحاجة والإقناع سواء أكان ذلك في مستوى خطاب الشخصية أم في مستوى خطاب الراوي. كلمات مفتاحية: صورة الذات، خطاب قصصي، تلفظ، جهة، حجاج.

Abstract:

In this study, we seek to clarify the manifestations of self-images in narrative discourse through the short story "Beth of Lehem" by Youssef Idris. It seemed to us that the discursive aspect of this text is very prominent and that the author's care in it is essentially aimed at formulating it in such a way as to make the presence of the discourse more important than the story. The fact that this short story shows the features of the self that is essentially speaking makes it a text filtered by the beliefs and judgments of the speaker, and the positions he shows of himself regarding what he says and toward the addressee. Our attention then focuses on the identification of three aspects which reveal the mechanisms of functioning of the discourse and the methods of production of meaning, namely: the self-image which creates the discourse, and the reasons for the inflation of the discourse versus the atrophy of history; Self-image based on modalized discourse. The self-image seeking to convince, whether at the level of the character's speech or at the level of the narrator's speech.

Keywords: Self-image, Narrative Discourse, Enunciation, Modality, Argumentation

1. المقدمة:

تولي النظريات اللسانية المعاصرة الذات أهمية بالغة، ولئن كانت أعمال الدارسين المنجزة في هذا الإطار على قدر عظيم من الضبط والتدقيق حتى استقامت لأصحابها من ذلك نظريات متكاملة⁽¹⁾، فإنّ تباينها في المنطلقات المنهجية وطرائق التحليل قد جعل صور الذات فيها متعددة متنوّعة مفهوما ومصطلحا.

والتأبب أنّ العناية بالذات ما فتئت تتدعم منذ أن جعل إميل بنفنيست⁽²⁾ (E. Benveniste) اللّغة الجارية على لسان المتكلم موضوعاً للدرس مؤسساً بذلك للسانيات التلقّظ باعتبارها تحويلاً للغة من النظام إلى الاستعمال في المقامات المختلفة، بعد أن كان التصور البنيوي يحدّد موضوعه باللّغة نظاماً قائماً بذاته.

وقد أقام بنفنيست تصوّره للخطاب في مفهومه العامّ على ركنين أساسيين حين اعتبر أنّ «كلّ تلقّظ يقتضي متكلماً وسامعاً، ومقصد تأثير الأول في الثاني بوجه من الوجوه»⁽³⁾. والواقع أنّه أمر تتطلّب عمليّة التلقّظ ذاتها؛ مادام المتكلم يُشعّ، منذ اللّحظة التي يُعلن فيها عن نفسه متكلماً، الآخر في مواجهته. وبناء على ذلك يكون كلّ تلقّظ، صراحة أو ضمناً، مخاطبةً تفترض مخاطباً⁽⁴⁾. إلّا أنّ الاهتمام لا يتركز على الأطراف الفاعلة في التلقّظ، وهما المتكلم والمخاطب، فحسب، وإنما كذلك على ما يتضمّنه من آثار دالّة على إنجازه وظروف إنتاجه. وجميع تلك العناصر تمثّل قرائن دالّة على الذات في الخطاب. ولما كان المرء يتشكّل ذاتاً في اللّغة وباللّغة⁽⁵⁾، فإنّ الداتية، حينئذ، هي «قدرة المتكلم على تقديم نفسه [في الخطاب] باعتباره ذاتاً»⁽⁶⁾.

وتنشطر هذه الذات عند أوزوالد ديكرود (O. Ducrot)، في نطاق نظريّة تعدّد الأصوات القائمة على استبعاد مسلّمة وحدة الذات المتكلمة، إلى كيانات متعدّدة هي الذات المتكلمة (locuteur) باعتبارها الفرد المائل في العالم الذي يتلقّظ بالقول، والمتكلم (sujet parlant) والقائلون (énonciateurs) بوصفهم كائنات نظريّة بالدرجة الأولى⁽⁷⁾.

ولئن كانت ذات الخطاب (sujet du discours) عند باتريك شارودو (Patrick Charaudeau) كذلك «ذاتاً متنوّعة العناصر [...] متعدّدة الأصوات باعتبارها حاملة لعدد الأصوات التلقّظيّة» فإنّه يقترح «أن يقع التمييز بين ذات متواصلة⁽⁸⁾ وذات مؤوّلّة⁽⁹⁾ خارجيتين عن

المقول (مستوى مقاميّ)، وذات متلقّظة⁽¹⁰⁾ وذات مرسل إليها⁽¹¹⁾ داخلّيتين في المقول (مستوى خطابيّ)⁽¹²⁾.

لقد غدا موضوع حضور الذات المتكلّمة في الملفوظ أمراً شائعاً معروفاً في الدّراسات اللّسانيّة⁽¹³⁾، وجوّد فيه النظّر إلى الحدّ الذي أكسبه بعداً جديداً في نطاق ما يُعرف بعوالم الاعتقاد⁽¹⁴⁾.
على أنّ الأمر يبدو مختلفاً في مجال الدّراسات الأدبية: فقد استند علم القصص (narratologie) في عنايته بدراسة الفنّ القصصي إلى منوال تفسيريّ معقّد الاهتمام فيه على وصف الأبنية السردية وصفاً مُحايثاً.

وكرس هذا المسلك جماعة من المنظرين رأوا في التّعامل مع الفنّ القصصي التّعامل الذي يصف بناه الدّاخلية، بعيداً عن الإخلاد في تناوله إلى السياق الخارجي وظروف إنتاجه ونشأته والقائل الحقيقيّ له، السبيل الأثبّت نجاعةً في الإيفاء على شروط إنتاجه ودقائق خاصّياته.
وإذا كان الأخذ بتلك الطّرائق في الدرس قد مدّ الباحث في استصفاء الخصائص القصصيّة في النصّ الأدبيّ بالكثير من الأعمال الجديرة بالاهتمام والتّقدير، فإنّه قد بدا غير كافٍ للوقوف على الكثير من مقاصده أظهرها صورة المتكلّم الذي ينتصب في الخطاب ذاتاً تنهض بدور المصفاة في عملية السرد.

وأن يكون المتكلّم على هذه الصّورة فإنّ الخطاب يغدو صياغة فنيّة ترشح باعتقاداته وأحكامه إزاء مضمون ما يقول، وما يُظهره من نفسه من مواقف تجاه المخاطب.

من البيّن إذن أنّ لحضور المتكلّم في الخطاب ذاتاً مُنتجة له صائغة دوراً هاماً، وهذه القضايا التي يثيرها حضوره تقوم دليلاً على ذلك. وهو ما يُسوِّغ لنا في هذا المقام العناية ببروز الذات في الخطاب وأشكال حضورها وما ينعقد على ذلك من مقاصد، انطلاقاً من أقصوصة «بيت من لحم» ليوسف إدريس⁽¹⁵⁾.

وعلى هذا النحو ينتظم عملنا في ثلاثة أقسام:

نعمد في أولها إلى بيان ما للجانب الخطابي في هذا النص من بروز شديد يسم الحكاية فيه بالصّور.

ونسعى في القسم الثاني إلى الوقوف على خصائص هذا الخطاب القائم على إظهار ملامح الذات الراوية وهي تتكلم أساساً نازعةً إلى إظهار المتحدث عنه من شخصيات وأحوال وأفعال وفقاً لصياغتها الخاصة.

ونتناول في القسم الثالث علاقة الذات بالمخاطب تتوجّه إليه بالخطاب قصد الإقناع والتأثير سواء أكان ذلك في مستوى خطاب الشخصية أم في مستوى خطاب الراوي.

فتدرج بذلك من الذات مُنشئةً للخطاب إلى الذات مُوجهةً له فالذات مُحاجةً⁽¹⁶⁾.

2. الذات المنشئة للخطاب:

من العلامات التي تسم الخطاب بالتضخم على حساب الحكاية أسماء الإشارة والقرائن الزمنية الدالة على الآتية («وتدرك الأرملة وبناتها الآن فقط كنه ما تقدم» / «لماذا لا يُجدد الاتفاق ومنذ الآن؟ ولماذا لا يُرسل في طلبه هذه اللحظة؟» (ص5) / «ها هو الآخر يبحث عن بنت الحلال»⁽¹⁷⁾ / «وجهها.. ذلك الذي أدركن للتو أنه كان مجرد فانوس مطفأ عمّش فيه العنكبوت والتجديدات، فجأة أنار، ها هو أمامهن كلمة الكهرباء مضيء. ها هي عيونها تلمع وقد ظهرت وبانت وتألأت بالدمع الضاحك.. تلك التي كانت مستكنة في قاع الحجر»⁽¹⁸⁾ / «هذا الشاب القوي المتدفق قوة وصحة وحياء، ذلك الذي عوّضها عن سنين المرض والعجز والكبر بغير أوان»⁽¹⁹⁾ / «سألها فجأة عمّا كان بها ساعة الظهر، ولماذا هي منطلقة تتكلم الآن ومعتصمة بالصمت التام ساعتها؟ / ولماذا تضع الخاتم العزيز عليه الآن [...] ولماذا لم تكن تضعه ساعتها؟»⁽²⁰⁾ / «ها هي كمن استيقظ مرعوباً على نداء خفي..»⁽²¹⁾.

إن هذه القرائن تشكّل انبثاقا للخطاب داخل اللغة، بحكم تعلّقها بمقام التّخاطب الذي تُستخدم فيه، فُتبرز حضور الذات فيه ونزوع الرّايوي إلى مُطابقة حاضر الأحداث بحاضر السرد، وتشدّد النصّ إلى الخطاب أكثر ممّا تشدّه إلى الحكاية. وإذا كانت المشيرات المقامية (déictiques) تتعهّد، في إطار نظريّة التّلفظ، بتنظيم زمن التّلفظ ومكانه بالنّظر إلى المتكلم، فكيف يمكن لأسماء الإشارة تحديدا، وهي العناصر اللّغوية التي لا تُستعمل إلاّ مصحوبة بحركة تعيين بواسطة جارحة من الجوارح، أن تنهض في هذا النصّ الأدبيّ بدور إشاري، والحال أنّ التّفاد إلى مقام التّلفظ لحظة الكتابة متعهّد؟

يبدو أنّ الإشكال لا يمنع من توظيف أسماء الإشارة، هنا، باعتبارها تعليمات (instructions) تساعد القارئ على إعادة بناء المقام التّلفظي التّخييلي. وهي إلى ذلك تُستخدم على نحو يكشف عن بروز المرجع (saillance du référent) سواء أتلّقت بالمكان أم الزّمان أم الشخصية (الأرملة وبناتها والشّابّ الأعمى)، مثلما قد تدلّ على تغيّر حاصل في وضعه الغرضي⁽²²⁾، وهو ما يتحقّق، هنا، من خلال التّركيز على الشخصية والوجه والعينين والخاتم: فالشخصية التي كانت تعتصم بالصمت غدت منطلقة، والوجه الذي كان مطفأ أصبح مضيئا، والعيون «التي كانت مستكنّة في قاع الحجر» أمست «تلمع وقد ظهرت وبانت وتألّأت بالدمع الضاحك»⁽²³⁾، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى وضع الخاتم وعدم وضعه. والتّغيّر الحاصل في المراجع التي يُجمل عليها الرّايوي لا يتعلّق بالحالة النّفسية فحسب، وإنّما هو يتعلّق كذلك بالفعل؛ فوضع الخاتم رمز دالّ على الفعل الحسيّ. إنّ المشيرات، إذن، لا تعيّن مراجعها على نحو إشاريّ مباشر كما يحصل في الواقع، بل تبنيها وتكشف عمّا يطرأ عليها من تحوّلات تطوّر الأحداث.

ولما كان للخطاب مثل هذا الحضور المكثف الذي تُنبئ عنه المشيرات المقاميّة على النحو الذي بيّنا، وكان ذلك مؤشراً على حضور طاع للذات، فإنّ في الوقوف على آثارها في الخطاب ما يُسهّم في تعيين صورها.

3. الذات المُوجّهة للخطاب:

ينقل الراوي، في هذه الأقصوصة، من الوقائع ما لا يُشارك فيه، وهو بذلك راوٍ من خارج الحكاية غائب عنها (narrateur extradiégétique - hétérodiégétique) (24) لا سيّما في تلك المواطن التي يرد فيها السرد تابعاً (narration ultérieure) (25) لِمَا سبق حدوثه، وهي مقاطع محدودة يسوقها في صيغة الماضي بما يدلّ على انفصاله الزمانيّ عمّا ينقله: («الصمت خيم مذ مات الرجل، والرجل مات من عامين بعد مرض طويل. انتهى الحزن وبقيت عادات الحزاني وأبرزها الصمت..» (26) / وتزوّجته.. زاد عدد الأنفس واحدة، وزاد الرزق قليلا، ونشأت مشكلة أكبر..» (27)).

ولئن استخدم الراوي، مرّة، ضمير المتكلم في صيغة الجمع («فما أكثر ما نعى عن رؤية الناس لجرد أحم عميان» (28)) فإنّ هذا الضمير «يُحيل على ذات جماعية عامّة [...] ولا تتصل بذات المتكلم وشخصيته الفرديّة» (29).

يبدو الراوي، إذن، في ما يُظهر من أمره مُحايدا عازفا عن إقحام نفسه في ما يروي، مُكتفٍ بالوظيفة التقليديّة التي تُناط به عادة وهي وظيفة السرد. غير أنّ هذا الحياد سرعان ما يتقوّض عند تقصّي آثاره الدالّة عليه في مستوى علاقته بالمقول والمقول له.

وتقوم هذه الأقصوصة على حدث رئيسيّ واحد، هو حدث الزّواج، وانطلاقا منه يمكن توزيع الأعمال إلى ما قبل هذا الحدث وما بعده. ولئن قسّم الكاتب الكلام إلى أربع مقاطع أنهى كلّ واحد منها بعلامة حدّ مؤهّما إيانا أنّ الأحداث متنوّعة متشعبّة متطوّرة على وجه التعاقب في ضربٍ

من الخطيئة الزمنية، فإنّ النصّ قد بدا على خلاف ذلك، وتقسيمه وفق هذه المقاطع لا يستقيم. وعلة ذلك:

- أنّ المقطع الأوّل⁽³⁰⁾ متقدّم في الخطاب لاحق في الحكاية.
- وأنّ الأحداث لا تشعّب فيها، وإتّما هي تنهض على حدث رئيسيّ هو زواج الأرملة من المقرئ الأعمى، وعنه تولّدت أحداث هي، في أصلها، حدث واحد متكرّر: كلّ بنت من البنات الثلاث تصبح، على التّوالي، زوجا لهذا المقرئ.
- وأنّ ما أدرجه في المقطع الأوّل مجموعا أورده مرّة ثانية، موزّعا، في المقطعين الثالث والرّابع. فالأقصوصة على هذا النّحو محكمة ببنية التّعاود والتّكرار وهو ما يتجلّى في تعاود الصّمت (في البداية والوسط والنّهاية) وتعاود تسلّل الأصبع إلى الخاتم. وفي بناء الأحداث وانتقائها وتركيبها على هذا التّسق من التّقديم والتّأخير والتّعاود ملمح أوّل دالّ، من جهة، على ما للخطاب من أهميّة في النصّ، وعلى حضور الذات الرّأوية في خطابها. إلّا أنّنا لا نعدم طرائق أخرى تكشف عن اتّجاه النصّ إلى الخطاب أكثر ممّا يتّجه إلى الحكاية. ومن هذه الطّرائق التي تدعم البروز الطّاغي للخطاب على حساب الحكاية تلك المقاطع الوصفية، سواء أكانت متعلّقة بالشخصيات أم بالمكان، وهي مقاطع يهرب فيها الرّأوي من الفعل إلى الصّفة بما يجعلها منقطعة عن الانشداد إلى زمن مخصوص منفتحة الدّلالة على الاستمرار. ومثلما يتأدّى تغييب الزّمن⁽³¹⁾ بالوصف يقع كذلك بالجملة الاسمية: «الخاتم بجوار المصباح. الصمت يحلّ فتعمى الآذان (...) والظلام يعمّ (...). الأرملة وبناتها الثلاث. والبيت حجرة. والبدية صمت» / «الأرملة طويلة بيضاء ممشوقة» / «الحجرة رغم ضيقها تسعهنّ في النّهار»⁽³²⁾ / «الصمت خيم مذ مات الرجل» / «صمت طويل لا يفرغ»⁽³³⁾.

وكثيراً ما يكون الخبر في الجمل الاسمية مركباً إسنادياً فعلياً فعله في صيغة المضارع الدّالة على الحال: («الصمت يحلّ» / «الظلام يعمّ» / «الحجرة، رغم ضيقها، تسعهن في النهار»⁽³⁴⁾ / «والاقتراح يبدأ»⁽³⁵⁾ / «الصمت تلاشى واختفى تماماً»⁽³⁶⁾ / «والكفيف الشاب يصخب ويغنى ويضحك»⁽³⁷⁾، بل إنّ السرد يرد، في الغالب، في جمل فعلية أفعالها في صيغة المضارع من قبيل: («يضع الخاتم» / «تتناثر أجسادهن كأكوام كبيرة من لحم دافئ حي»⁽³⁸⁾ / «تتصاعد منها الأنفاس حارة مؤرقة»⁽³⁹⁾ / «يجيء عصر الجمعة ولا يجيء المقرئ» / «يدوم الصمت حتّى يحدث شيء» / «وتدرك الأرملة وبناتها الآن فقط كنه ما تقدّم»⁽⁴⁰⁾ / «ويطول الصبر ويتحوّل علقمه إلى مرض» / «وتأمل الكبرى ذات يوم خاتم أمّها في أصبعها وتبدي الإعجاب به، ويدقّ قلب الأمّ وتزداد دقاته»⁽⁴¹⁾). ولئن كانت هذه الصيغة الدّالة على الحاضر والشّائعة الاستعمال في هذه الأقصوصة، تتمدّد لتشمل فترة من الفترات فإنّها، في واقع الأمر، تُقدّم بوصفها لحظة التلقّظ. وبذلك تُروى الأحداث وهي تقع ويطلق أنّ الحدوث في الواقع سرده في الخطاب، في ما يُعرف بالسرد المتزامن أو الآني (narration simultanée)⁽⁴²⁾.

ومن الطرائق التي يمكن أن تُجلب حضور الدّات في خطابها وجهة النظر لا باعتبارها تقنيّة ينهض بها صوت سرديّ مجرّد من كلّ سمات الدّاتية، وإنّما من جهة كونها إدراكاً للأشياء إدراكاً يكشف عن مواقف الرّاي واعتقاداته وأحاسيسه. وهي على هذا النحو موصولة بالجهة (modalité) موقفاً يُبديه المتكلّم ممّا يقوله في ملفوظه. ويتشكّل كلّ ذلك في ضروب من التّوجيه (Modalisation) أظهرها الجهات المعرفيّة (modalités épistémiques) والجهات التّقويّة (modalités appréciatives)⁽⁴³⁾.

وقد تعدّدت في هذه الأقصوصة الأفعال والصيغ المعبّرة عن التقويمات والتصورات، وإذا كان بعضها يتّصل بالزاوي مباشرة فإنّ بعضها الآخر متعلّق بالشخصيّة منقول عنها، بما يدلّ على أنّ الذات الموجهة (sujet modal) قد تكون الزاوي كما قد تكون الشخصية نفسها⁽⁴⁴⁾.

فمما يرد في هذا النصّ مُعبّرًا عن المعرفة والإدراك: «صمت طويل لا يفرغ إذ كان في الحقيقة صمت انتظار»⁽⁴⁵⁾ / «فقير مثلهنّ هذا صحيح، ولكنّ ملابسه أبدا كانت نظيفة»⁽⁴⁶⁾ / «الليلة الأولى انقضت وهما في فراشهما، هذا صحيح. ولكنهما حتّى لم يجسرا على الاقتراب»⁽⁴⁷⁾ / «ولكنّ الحقّ أن ما أصبح يشغلها ليس الرّجال أو العرسان ولكنّه ذلك الشاب»⁽⁴⁸⁾ / «كان ممكنا أن تنتفض هالعة واقفة صارخة. كان ممكنا أن تُجسّ. كان ممكنا أن يقتله أحد» / «كلّها جائعة! كلّها تصرخ وتحنّ، وأينها يتنفسّ ليس أنفاسا، ربّما استغاثات. ربّما رجوات.. ربّما ما هو أكثر»⁽⁴⁹⁾ / «فوراء صحبه وضجته تكمن رغبة تكاد تجعله يثور على الصمت» / «إنّه هو الآخر يريد أن يعرف.. عن يقين يعرف»⁽⁵⁰⁾ / «إنّها متأكّدة لأمر ما أنّها الوسطى»⁽⁵¹⁾ / «إنّه يكاد يعرف، وهنّ بالتأكيد كلهنّ يعرفن»⁽⁵²⁾ / «وبالصمت راح يؤكّد لنفسه أنّ شريكته في الفراش على الدوام هي زوجه وحلاله»⁽⁵³⁾ / «والبنات مبعثرات متباعدات يفهمن ويدركن وتهدّج منهنّ الأنفاس والأصوات»⁽⁵⁴⁾ / «البنات كبيرات، عارفات ومدركات»⁽⁵⁵⁾ / «وأقصى ما يستطيعه هو أن يشكّ، شكّ لا يمكن أن يصبح يقينا إلّا بنعمة البصر، ومادام محروما منه فسيظل محروما من اليقين»⁽⁵⁶⁾. تنشّد التوجيهات في هذه الشواهد إلى عالمين: فأما ما اتّصل بالمتحدّث عنه من العالم الخارجيّ فقد بدا نازعا إلى الإثبات والتقرير، وأمّا ما تعلّق بالعالم الباطنيّ ممّا يرجع إلى الإدراك والمعرفة فغلب عليه منحى الشكّ والترجيح والإمكان. وهو تقابل يعكس في قلّة الأحداث في الخارج والجنوح إلى السكون والصمت، وكثافة ما يجري في باطن الشخصيات من "أحداث" ذهنيّة لا تبلغ من خلالها اليقين فيعصف بها الشكّ والإحباط. وترتّب على ذلك ثنائيّة

ثانية مفادها أنّ الوجود الخارجي الحاصل في الأعيان مؤوّل في أذهان الشّخصيّات على أنحاء مختلفة تمتدّ من الوثوق واليقين إلى التّرجيح والشكّ، ومن الجهل إلى المعرفة. وعلى هذا النحو لا يكون الواقع واحداً وأمرًا قائماً بذاته، متحقّقًا في الوجود الخارجي، وإنّما هو متعدّد وقائم في ذهن المخبر عنه؛ إذ هو ما تظنّه الشّخصيّة وتعتقده من الواقع لا الواقع ذاته.

ويتوزّع ما جاء ناطقًا بأحكام الذات المتلفّظة من التّقويم إلى محورين:

- محور التّقويم الجمالي وقوامه ثنائية الجمال والقبح، من قبيل: (الأرملة طويلة بيضاء ممشوقة/ قبيحات ورثن جسد الأب الأسمر المليء بالكتل غير المتناسقة والفجوات⁽⁵⁷⁾) / ومن الجنون الذي يدقّ باب الفقيرات القبيحات⁽⁵⁸⁾ / صوته حلو وهو يغنيّ ويقلّد أمّ كلثوم وعبد الوهاب، صوته عال أجشُّ بالسعادة يلعلع⁽⁵⁹⁾.

- ومحور التّقويم الأخلاقي القائم على ثنائية الخير والشرّ والحلال والحرام، ومثاله: (الرّوج زوجها وحلالها وعلى سنة الله ورسوله⁽⁶⁰⁾ / البنات جائعات! الطعام حرام صحيح ولكنّ الجوع أحرم.. أبدا ليس مثل الجوع حرام!⁽⁶¹⁾).

وإذا كان المحور الأوّل قد تأدّى من خلال صوت الرّاوي وهو يستثير عطف القارئ على الشخصية، فإنّ الذات الموجهة في المحور الثاني هي الشخصية نفسها(الأرملة) تتنازعها الهواجس الأخلاقية في تمزّقها بين الإقرار بما للرغبة الحسيّة من سطوة، والرّضا بأن تشاركها البنات في الرّوج.

ولا تخلو هذه الأقصوصة كذلك من تراكيب وأفعال وصيغ مؤدّية لمشاعر الشخصيات وأحاسيسها، من بينها:(انتهى الحزن وبقيت عادات الحزاني وأبرزها الصمت / أمل قليل ولكنّه دائم، فهو أمل في الأقلّ⁽⁶²⁾ / وهنّ لا يتطلّعن لأيّ أكثر.. أبدا لا يتطلّعن⁽⁶³⁾ / كشّافات عيون، وكشّافات آذان، وكشّافات إحساس⁽⁶⁴⁾ / فليس لما يقوله إلّا معنى واحد، ما أغربه وأبشعه من معنى! / كان ممكنا أن تنتفض هالعة واقفة صارخة. كان ممكنا أن تُجنّ/ ساخنة بالصّبّا تجأر،

تتردد، تنقطع، أحلام حرام تقطعها⁽⁶⁵⁾ / فجأة ملسوعة ها هي كمن استيقظ مرعوباً على نداء خفي⁽⁶⁶⁾. ولكن تعددت الأحاسيس الملتبسة بذاتية الشخصيات فإنها تنطق مؤتلفة بمعنى اليأس والألم والاستفطاع والإنكار والعجز عن تلبية رغبة مستبدة.

لقد تأدت هذه التوجيهات على تنوعها بواسطة القصة النفسية⁽⁶⁷⁾ (psycho- récit) وهو الغالب، ومادته بالأساس ما يعتمل في النفوس وما يضطرب فيها من المشاعر والهواجس والأحاسيس والانفعالات والرغبات المكبوتة. وهي تُنقل بصوت الراوي لسيطرة الصمت على الشخصيات وعجزها عن البوح بما يتلجلج في الضمير. ووجه هذا الأمر الأصوصة وجهة مخصوصة يتضح فيها الخطاب القصصي وتقدم فيها الفكرة على الحدث.

ومن الأساليب الأثيرة لدى هذا النمط من القصة المشبع بالذاتية الأسلوب غير المباشر الحر الذي ينتهج سبيل نقل الأقوال وتمثيل الأفكار، وفيه يتعاضل صوتان: صوت الراوي وصوت الشخصية، أي من يتكلم وينقل ومن يشعر ويُعبّر. فتتعلق الشخصية مُفصحة عن آمالها (أمل قليل ولكنه دائم)⁽⁶⁸⁾ وآلامها وتأزمها (ولكن غصة خانقة حبست كل هذا وحبست معه أنفاسها)⁽⁶⁹⁾ / والصبر الذي صار علقماً⁽⁷⁰⁾ وشكها وحيرتها (فوراء صحبه وضجته تكمن رغبة تكاد تجعله يثور على الصمت وينهال عليه تكسيرا. إنه هو الآخر يريد أن يعرف.. عن يقين يعرف⁽⁷¹⁾) في حين ينهض الراوي بدور النقل والإخبار.

وإذا كان تنضيد الأصوات على هذا النحو يسمح بالحديث عن تعدد صوتي (polyphonie) فإنه لا يدل في ما يبدو على تراجع سلطة الراوي وخفوت حضوره لأن ما يُنقل لا يطابق تماماً كلام الشخصية وأحاسيسها وأفكارها بقدر ما هو ضرب من التمثيل لها.

يتضح مما تقدم ما للذات من حضور طاغ انعكس في خطابها تقويمات وتصورات وأحاسيس تأدت من خلال أساليب متنوعة وجهات مختلفة. فهل من مقاصد من هذا النزوع إلى الاستبداد

بالخطاب والمهيمنة عليه والحضور فيه من خلال أبرز الصيغ المحيلة عليه وهي الذاتية؟ لعلّ في الوقوف على الوجه البلاغي للذات ما يمكن أن يبين عن ذلك.

4. الذات المُحاجّة:

يُعدُّ الإقناع، في ما هو مطرّد، المحدّد الأساسي للحجاج «إلاّ أنّ الذاتية تُقبل في الحجاج، بل هي ضروريّة لوجوده، ولذلك يقع معظم الحجاج في منطقة وسطى بين الحقيقة والزيف. إنّه مجال ذاتية أو مجال "المماثل للحقيقة" (le vrai-semblable) أي مجال "المحتمل"، وهذه الصفة بمثابة المحدّد الثاني الأساسي للخطاب الحجاجي» (72). وفي هذا ما يدعو إلى الاهتمام بالكشف عن هذا الوجه من الذاتية المائل في الحجاج أسلوبا يجري في خطاب الراوي وفي خطاب الشخصية (73). وإذا كان الحجاج في خطاب الراوي موصولا بالمرويّ له، فما الذي يُجوّز الحديث عن الحجاج في خطاب الشخصية في أقصوصة تتضمّن خمس شخصيات محكوم عليها أن تبقى في بيت واحد وألاّ تنشأ بينها علاقات وألاّ يقع التّحاور بينها إلاّ مرّة واحدة، وهي شخصيات إمّا تُحدّث نفسها أو يتحدّث عنها الراوي؟

الواقع أنّنا متى حملنا خطاب الشخصيات، ما كان منه داخليا وما ورد في الأسلوب غير المباشر الحرّ، على كونه خطابا تتّجه فيه إلى نفسها فتكون قائلة ومقولا لها في الآن نفسه، ونزلنا ذلك في نطاق ما يُسمّى بـ«المقام التّعاملي الداخلي» (74) ألفينا الشّخصية تنشطر إلى طرفين: أحدهما متكلم والآخر مخاطب.

- من ذلك هذا المقطع: (غرقت في حلالها الثاني ونسيت حلالها الأول.. بناهّا! والصبر أصبح علقما، وحتّى سراب العرسان لم يعد يظهر. فجأة ملسوعة ها هي كمن استيقظ مرعوبا على نداء خفيّ.. البنات جائعات! الطعام حرام صحيح ولكنّ الجوع أحرم.. أبدا ليس

مثل الجوع حرام! إنّها تعرفه.. عرفها وييس روحها ومصّ عظامها، وتعرفه - وشبعت ما شبعت - مستحيل أن تنسى مذاقه. جائعات وهي التي كانت تُخرج اللّقمة من فمها لتطعمهنّ.. هي التي كان هُمّها حتّى لو جاعت أن تُطعمهنّ، هي الأمّ، أنسيّت؟ (75)، ويتخذ الخطاب في هذا المقام بعدا حجاجيًا طرفاه صورتان أو صوتان هما: صوت الأمّ المنكرة على بناتها "جوعهنّ" الحسّي ومشاركتهنّ لها في الرّوج (الطعام)، وصوت الأمّ المبرّرة الملتزمة للأعداء مُتخذة من المقارنة بين وضعها الرّاهن ووضعها في الماضي، ومن غياب العرسان سبيلا للاقتناع.

- ومن ذلك أيضا ما جاء على لسان الأعمى يُحدّث به نفسه عن طبيعة المرأة المتحوّلة التي لا تثبت على حال (كان أول الأمر يقول لنفسه إنّها طبيعة المرأة التي تأبى البقاء على حال واحد، فهي طازجة صابحة كقطر النّدى مرّة، ومنهكة مستهلكة كماء البرك مرّة أخرى. ناعمة كملمس ورق الورد مرّة. خشنة كنبات الصّبّار مرّة أخرى. الخاتم دائم وموجود صحيح، ولكنّ الأصبع الذي يطبق عليه كلّ مرّة أصعب. إنّهُ يكاد يعرف، وهنّ بالتّأكيد كلهنّ يعرفنّ، فلماذا لا يتكلّم الصمت؟ لماذا لا ينطق؟

ولكنّ السؤال يباغته ذات عشاء، ماذا لو نطق الصمت؟ ماذا لو تكلم؟

مجرد التّساؤل أوقف اللّقمة في حلقه.

ومن لحظتها لاذ بالصمت تماما وأبى أن يغادره.

بل هو الذي أصبح خائفا أن يحدث المكروه مرّة ويُخدش الصمت. ربّما كلمة واحدة تغلت فينهار لها بناء الصمت كلّهُ، والويل له لو انهار بناء الصمت (76).

إذ يتدرّج الشابّ الأعمى في هذا المقطع من الإثبات إلى الاستدراك، ويؤول ذلك إلى الشكّ والحيرة، ثمّ اليقين المرعب والحقيقة المفزعة. وما ينشأ في باطن الشّخصية من أسئلة إنّما تتوجّه بها إلى

الذات فتكتسب بذلك صبغة تعاملية تجعلها دائرة بين صوتين متحاجين هما: صوت المثبت وصوت الشاك في مرحلة أولى، وصوت المتمّي تحقّق اليقين وصوت الفزع في مرحلة ثانية. وخضع المقطع إلى سيرورة حجاجية أفضت إلى تحوّل في وضع الشخصية من الجهل إلى المعرفة.

- وقام المقطع الأخير من الأقصوصة على نسق مشابه (المقرئ الكفيف الذي جاء معه بذلك الصمت، وبالصمت راح يؤكّد لنفسه أنّ شريكته في الفراش على الدوام هي زوجه وحلاله وزلاله وحاملة خاتمه، تتصاّبى مرّة أو تشيخ، تنعم أو تحشن، ترفع أو تسمن، هذا شأنها وحدها، بل هذا شأن المبصرين ومسئوليتهم وحدهم! هم الذين يملكون نعمة اليقين، إذ هم القادرون على التمييز. وأقصى ما يستطيعه هو أن يشكّ، شكّ لا يمكن أن يصبح يقينا إلاّ بنعمة البصر، ومادام محروما منه فسيظل محروما من اليقين، إذ هو الأعمى، وليس على الأعمى حرج.

أم على الأعمى حرج؟⁽⁷⁷⁾

فمن الأساليب الحجاجية الزامية إلى الإقناع، في هذا النطاق، التأكيد والإضراب والتعليل (إذ) وحصر اليقين في المبصرين والاقْتباس⁽⁷⁸⁾. وإذ تقع (أم)، هنا، منقطعة، كما يسمّيها النحاة، فإنّها تسمح بانتقال الخطاب، ويكون للكلام بعدها حكم الاستفهام. وإذا كان الكلام الذي قبلها تقريرا منفيا يدفع الخطيئة عن النفس، فإنّ الاستفهام الذي بعدها إنكار موجّه إلى المخاطب يحذّره ممّا في حجّته من تضارب مع النصّ القرآني.

ويمكن أن تُشقّق الشخصية نفسها، في هذا الإطار، إلى صوتين هما: صوت الأعمى وصوت المقرئ: أحدهما يعرف ويشعر بالخطأ، والثاني ينزع إلى التبرير والتنصّل من المسؤولية.

وقد سلك الرّواي طريقة مماثلة في ما يتّصل بالحجاج، إلاّ أنّه توجّه في ذلك إلى المروي له

متقصّدا التأثير فيه. ومن الأساليب التي استند إليها في هذا الإطار:

- الاستفهام: (ومن الجنون الذي يدقّ باب الفقيرات القبيحات، وبالذات إذا كن يتامى؟ ولكنّ الأمل بالطبع موجود، فلكلّ فولة كيّال ولكلّ بنت عدلها. فإذا كان الفقر هناك فهناك دائماً من هو أفقر، وإذا كان القبح هناك فهناك دائماً الأقيح والأماني تنال.. أحيانا تنال بطول البال. (79)، فالاستفهام الذي يفيد استبعاد العرسان في البداية يُلطف بالاستدراك في ما يُفيد التعويض، ويُعزّز بالمثل حجة على ذلك، فتحوّل النتيجة من اليأس إلى الأمل.
- قلب بنية الجملة بالتقديم والتأخير بما يجعلها ناهضة بإبراز العناصر المراد التأكيد عليها أكثر من غيرها، مُحدثة لوظيفة تأثيرية: (بالتعوّد يجيء.. بالتعوّد يقرأ.. بالعادة يمضي (80) / صوته عال أجشّ بالسعادة يلعلع (81) / عن يقين يعرف (82).
- الأحكام التي ترد في قالب حقائق عامّة (دائماً هناك لكلّ قليل أقلّ (83) / فلايّ اتّفاق مهما طال نهاية / ومحال أن يفهمن أنّ الرجل ليس بعينيه (84)، إنّها الأحكام التي تُخرج الرّاي في صورة الحكيم الخبير، وهي الصّورة التي يروم إظهارها عن نفسه للمرويّ له.
- ويلوح الحجاج في خطاب الرّاي من ناحية أخرى في ما يستند إليه من ملفوظات الانفعال (les énoncés d'émotion) وأساليب في التأثير متنوّعة، من قبيل المعجم التّالي: (مسكينات لم يعرفن بعد عالم الرجال (85) / تظهر الآهات فجأة فتكتمها الآهات (86) / ولكنّ الصّغرى تصبح - بالصبر والهّم وقلة البخت - أكبر (87) وهي ألفاظ يلمح من خلالها إلى ما يُحسّ به، مكتّفا من معاني التّفحّج والتّوجّع استفزازاً لعطف المرويّ له عليهنّ، واستمالته تمكيناً للفكرة التي يروم الإقناع بها.

وقد يعمد الرّواي إلى تركيب صور للموصوفات مُشبعة بالمجاز والرّموز والإيحاء على نحو يشفّ

عن حضور الذّات في الخطاب، ومنها:

- التّشبيّهات: (في الليل تتناثر أجسادهن كأكوام من لحم دافئ حي (88) / دائم هو كالانتظار، كالأمل.. (89)).

- وقد يتوسّل الرّواي المجاز والرّمز اللّطيف للتعبير عمّا يعتمل في نفوس البنات من رغبات حسّية وإحساس باليأس من القدرة على إشباعها: (الصمت يحلّ فتعمى الأذان (90) / وذات مرّة بعدما شبعنا من اللّيل وشبع اللّيل منهما (91) / البنات جائعات! الطعام حرام صحيح ولكنّ الجوع أحرم.. أبدا ليس مثل الجوع حرام! (92)). ولعلّ أكثف المقاطع رمزية وإيحاء المقطع التّالي: (الأنفاس الثلاثة تتعالى عميقة حارّة كأنّها محمومة ساخنة بالصّبّا تجأر، تتردّد، تنقطع، أحلام حرام تقطعها.. أنفاس باضطرابها تتحوّل إلى فحيح.. فحيح كالصّهد الذي تنفثه أراض عطشى، والغصّة تزداد عمقا واحتباسا. إنّها أنفاس جائعات ما تُسمع، بكلّ شحذها لحواسّها لا تستطيع أن تفرّق بين كومة لحم حيّ ساخنة مكتومة وكومة أخرى. كلّها جائعة! كلّها تصرخ وتئنّ، وأنيها يتنقّس ليس أنفاسا، ربّما استغاثات. ربّما رجوات.. ربّما ما هو أكثر (93)). يشتمل هذا المقطع على استعارات ثلاث: تتعلّق الأولى بالنّار ومعجمها (حارّة، محمومة، ساخنة، الصّهد) وتتصل الثّانية بالجوع، أمّا الثّالثة فمدارها على الصّوت الذي يبتدئ غصّة في الحلق يمتنع بها الكلام ولا يلبث أن يمسي أنينا فصراحا واستغاثات. وتلتقي هذه الاستعارات على الرّغم من تنوّعها في الجسد تضطرم فيه نار الشّهوة، ويستبدّ به الجوع إلى اللذّة المكبوتة المحتبسة في الأعماق، فيندفع عاتيا يئنّ ويصرخ طلبا للارتواء بقضاء الوطر.

- ومّا يتنزّل في نطاق الرّمز اللّطيف والإشارة القريبة ممّا هو مناسب لهذا الجنس من الأدب لِمَا يتميز به من تكثيف واختزال وإيجاء وتنكّب للتفاصيل، توظيف "الصّمت" على نحو صار به دالّاً على وقوع الحدث من عدم وقوعه:

✓ «وعلى الإفطار كانت - كما قدّرت تماماً- الوسطى صامتة.

وعلى الدّوام ظلّت صامتة.

والعشاء يجيء والشابّ - سعيداً وكفيفاً ومستمتعاً - ينكت لا يزال ويغني ويضحك ولا يشاركه الضحك إلاّ الصغرى والكبرى فقط.» (94).

✓ «وعلى العشاء التّالي تصمت الكبرى وتأبى النطق.

والكفيف الشابّ يصخب ويغني ويضحك، والصغرى فقط تشاركه.» (95).

✓ «ولكنّ الصّغرى تصبح - بالصبر والهّم وقلة البخت - أكبر، وتبدأ تسأل عن دورها في لعبة الخاتم، وفي صمت تنال الدور. [...] ولا يبقى صاحبها منكتاً مغنيّاً، إلاّ الكفيف الشابّ.» (96).

فينتقل الصّمت من الوسطى إلى الكبرى فالصّغرى إيجاء بتتالي المشاركة في لعبة الخاتم.

وقد وُظّف الخاتم بدوره توظيفاً إيجائياً، إذ أمسى وضعه في الأصبع رمزا للإقدام على فعل حسّي ما: (وتتأمل الكبرى ذات يوم خاتم أمّها في أصبعها وتبدي الإعجاب به، ويدقّ قلب الأمّ وتزداد دقّاته وهي تطلب منها أن تضعه ليوم، لمجرّد يوم واحد لا غير. وفي صمت تسحبه من أصبعها. وفي صمت تضعه الكبرى في أصبعها المقابل / ولكنّ الصّغرى تصبح - بالصبر والهّم وقلة البخت - أكبر، وتبدأ تسأل عن دورها في لعبة الخاتم، وفي صمت تنال الدور) (97).

هكذا بدت الذّات المحاجّة في مستوى خطاب الشخصية، وقد تكثّرت فانقسمت إلى متكلّم ومُخاطَب في الآن نفسه، مجالاً لتعدّد الأصوات يقوم فيه كلّ صوت بدور حجاجيّ مستقلّ.

ولما كانت هذه الأصوات على تعددها راجعة إلى الشخصية الواحدة، فإنّ الحجاج على لسانها يتّجه بالأساس إلى الاقتناع الذاتي (être convaincu)، بينما سلكت الذات في مستوى خطاب الراوي، وهو يتوجّه بالخطاب إلى المرويّ له، مسلكا مغايرًا. فقد انتهج الراوي سبيل التبرير والتأثير حملا على الإحساس بالفاجعة، وسعى إلى أن يُظهر من نفسه صورة المستفّرّ الساخط حيناً، والخبير الممتلك للمعرفة حيناً آخر، وهو في كلّ ذلك يقصد إلى الإقناع (persuasion).

5. الخاتمة:

لقد تبين لنا، في هذه الأقصوصة، أنّنا إزاء خطاب قصصي يضطلع فيه المتكلم بوظيفة السرد حيناً، ووظيفة التبرير والتفجع حيناً آخر، ويستبدّ فيه بالكلام الذي يتوجّه فيه إلى المرويّ له أكثر ممّا هو ينقل ويُسجّل لأنّه يروم إبلاغ رسالة ما. وترتّب عن انشغال المتكلم بهذه الرسالة أثر في الخطاب تمثّل أولاً في بروز الذات وحضورها المكثّف، ولاح ثانياً في تقديم الفكرة على الحدث. وليس الفنّ على هذا النحو إلاّ أداة استحلاب واستدراج لاستفضاع الخطيئة وإدانة الصّمت عنها والتّنصّل منها. والذي نخلص إليه أنّ تجلّي الذات في خطابها يُستصفى من مداخل متعدّدة هي المشيرات المقامية المعينة للحظة تلفظها وحضورها في المقام، والجهات الدالّة على أحكامها واعتقاداتها ومواقفها، ومن سلوكها مسالك حجاجيّة أساسها التأثير في المرويّ له وحمله على الإذعان انبساطاً لما يُرغّب فيه أو انقباضاً عمّا يُنفرّ منه.

وقد كشف هذا العمل، من ناحية أخرى، أنّ التّعامل مع النصّ الأدبي تعاملًا محايفًا يكتفي بإبراز خصائصه الفنيّة، أمر مفيد، ولا شكّ، في استخلاص قوانين عامّة لفنّ السرد على النحو الذي يجعل النصّ عينة ممثّلة لمبادئ الأدب؛ إلاّ أنّ كفايته التفسيرية تظلّ قاصرة ما لم يفتح على الذات وملاحمها وصورها في الخطاب. فقد بات من الواضح أنّ السبيل الأكثر نجاعة في دراسة النصّ الأدبي أن يفتح على أفق جديد يتجاوز مبدأ المحايثة واعتبار النصّ بنية مغلقة منفصلة عن

النشاط التلقظي إلى تطعيم الدرس الأدبي ببعض ثمار اللسانيات، وعقد جسر تواصل بين السرديات من جهة ولسانيات التلقظ والمقاربة التداولية من جهة ثانية. وهو ما من شأنه أن يُغني الدراسة الإنشائية لخصائص النص القصصي ويُشرع الباب على قضايا جديدة مهمّة من قبيل الذات والمعنى.

6. الهوامش:

1 - الذات والذاتية، على نحو عام، مجال تتكامل فيه تخصصات معرفية متعدّدة ومتمايزة (نفسية، فلسفية، لسانية، أدبية). وتتميّز

المدخل إليه في اللسانيات بالتّوّع أيضا، فتتازعه المباحث التلقظية والتداولية والعرفانية. انظر على سبيل المثال لا الحصر:

- Catherine Kerbrat-Orecchioni (1980). *L'énonciation de la subjectivité dans le langage*, Librairie Armand Colin, Paris.
- Jean Cervoni (1987). *L'énonciation*, PU.F., Linguistique nouvelle, Paris.
- Oswald Ducrot (1984). *Le dire et le dit*, Editions de Minuit, Paris.
- Pierre Van Den Heuvel (1985). *Parole, Mot, Silence : Pour une poétique de l'énonciation*, Librairie José Corti.

وقد أفضى انتفاح السرديات على لسانيات التلقظ إلى مقارنة جديدة في الدرس الأدبي تُولي الذات المتلقظة مكانة مهمّة

بوصفها حالة ملازمة للخطاب، وهي المقاربة التي تُنعت بسرديات التلقظ؛ والبحوث في هذا النطاق غزيرة، منها على سبيل

المثال:

- Alain Rabatel (2008). *Homo Narrans, Pour une analyse énonciative et interactionnelle du récit*, Editions Lambert-Lucas, Limoges.
- Dominique Maingueneau (1990). *Pragmatique pour le discours littéraire*, Bordas, Paris.
- Laurent Danon-Boileau (1982). *Produire le fictif : Linguistique et écriture romanesque*, Klincksieck, Paris.
- René Rivara (2000). *La langue du récit : Introduction à la narratologie énonciative*, L'Harmattan, Paris.

2 - انظر:

- Émile Benveniste (1966). *Problèmes de linguistique générale*, I, (1974 : II), Gallimard, Paris.

3 - انظر:

- Émile Benveniste (1966). *Problèmes de linguistique générale*, I, p.242.

4 - انظر:

- *Ibid.*, (1974) II, p.82.

5 - انظر:

- *Ibid.*, (1966) I, p.259.

6 - انظر:

- *Ibid.*, (1966) I, p.259.

7 - «يعني لفظ المتكلم عادة الشخص الذي يتكلم وينتج قولاً. إلا أن أوسوالد ديكرود يفصل ضمن نظرية تعدد الأصوات نظرياً بين الذات المتحدثة وهو الشخص الذي أنتج بالفعل القول، والمتكلم وهو كائن نظري يوضع على خشبة المسرح قائلاً أو قائلاً يمكن أن يتماثل مع بعضهم كما يمكن أن يختلف عنهم».

وقد «لحقت مفهوماً المتكلم والقائل [...] بعض تحويلات بين المقال الأول (Ducrot;1980) والمقال الأخير (Ducrot; 1984). ولنبداً بمفهوم المتكلم فهو يُشقق في هذا المقال الأخير إلى كائنين نظريين مختلفين هما المتكلم بصفته متكلماً (رمزه م) (Le locuteur en tant que tel [abrégé L]) والمتكلم بصفته كائناً في العالم (رمزه مت) (Le locuter en tant qu'être du monde [abrégé λ]). الأول مسؤول فحسب عن القول بينما الثاني شخص كامل أيضاً أي أنه قابل لأن تُسند إليه سمات خاصة رغم أنه يظل كائناً خطابياً [...] أما القائل فإنه لم تلحق تعريفه تحويلات لكن ديكرود حد من قدراته فلم يعد مسؤولاً عن الأعمال المضمّنة في القول وقد جرى اختزاله في الكائن أو الكيانات التي يحمل القول صوتها».

انظر:

- جاك موشلر - آن ريبول (2010): القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص 572؛ 351.

وانظر الشاهدتين تباعاً في:

- Jacques Moeschler ; Anne Reboul (1994). *Dictionnaire encyclopédique de pragmatique*, Seuil, Paris, pp.531 et 327.

وانظر كذلك:

- Oswald Ducrot et al. (1980) :«Analyse de textes et linguistique de l'énonciation», in: Oswald Ducrot, et al., *Les Mots du discours*, Ed: Minuit, Paris, pp.7-56.

- Oswald Ducrot (1984) :«Esquisse d'une théorie polyphonique de l'énonciation», in: Oswald Ducrot: *Le Dire et le dit*, Ed: Minuit, Paris, pp.171-233.

وَيُقيم جينات في نطاق علم السرد تمييزاً بين مختلف الكائنات يوازي التّمييزات الحاصلة في إطار نظرية تعدّد الأصوات: فالمؤلف والسارد ووجهة النظر (التي تعيّن الشخصية التي يُعبّر القصّ عن آرائها)، عند جينات، توافق، عند ديكرو، على التّوالي: الذات المتكلّمة والمتكلّم والقائل. انظر المرجع السابق:

- Jacques Moeschler ; Anne Reboul (1994). Op.cit., pp.425-426.

وانظر كذلك:

- Gérard Genette (1972). *Figures III*, Seuil, Paris.
- Gérard Genette (1983). *Nouveau discours du récit*, Seuil, Paris.

Sujet communicant - 8

Sujet interprétant - 9

Sujet énonçant ou énonciateur - 10

Sujet destinataire - 11

12 - انظر:

- باتريك شارودو - دومينيك منغو (2008): معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري - حمّادي صمّود، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص ص 538-539.

13 - انظر:

- Catherine Kerbrat-Orecchioni (1980). Op.cit., chapitre 2, pp. 34-146.

14 - انظر خاصّة:

- Robert Martin (1983). *Pour une logique du sens*, chapitre, I, P.U.F., Paris.
- Robert Martin (1987). *Langage et croyance*, chapitre, I. I., Mardaga, Bruxelles.

15- يوسف إدريس (د.ت): بيت من لحم، مكتبة مصر، مصر.

نُشرت هذه الأقصوصة أوّل مرّة سنة 1971 ضمن المجموعة التي تحمل عنوانها (طبعة عالم الكتب، مصر، 1971). وهي تنتمي، في ما يذهب إليه الدارسون، إلى مرحلة الكتابة الجديدة أو القصّ الذهني مُعلنة عن تحوّل في تجربة يوسف إدريس القصصيّة.

16 - وقريب من هذه التمشية ما جاء لدى ج. قارد تامين، في حديثها عن الدّاتية الإشارية والدّاتية الجهية - المظهرية والدّاتية البلاغية، وهي بدورها مُستلهمة من كاترين كيربرات أوريكيوني، انظر:

- Joëlle Gardes-Tamine (1992). *La stylistique*, Armand Colin, Paris, p.52.

17 - يوسف إدريس: بيت من لحم، ص5.

18 - نفسه، ص ص 6-7.

19 - نفسه، ص 7.

20 - نفسه، ص 8.

21 - نفسه، ص 9.

22 - انظر:

- W. De Mulder (1998). « Du sens des démonstratifs à la construction d'univers », *Langue française, Volume 120, Numéro 1*, pp. 21- 24

23 - المرجع السابق: بيت من لحم، ص 7.

24 - انظر المرجع السابق:

- Gérard Genette (1972). *Figures III*, op.cit., pp. 252-253.

25 - انظر المرجع نفسه:

- Ibid., pp. 232-229.

26 - المرجع السابق: بيت من لحم، ص 4.

27 - نفسه، ص 6.

28 - نفسه، ص 7.

29 - محمد الحبو (2003): الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقس- تونس، ط.1، ص 258.

وقد أحال الحبو على كايت هامبورغر التي تنعت هذا النوع من المتكلمين بـ«ذات التلقظ السردية» (Sujet d'énonciation théorique)، وهي ذات تعتمد إلى تحييد شخصية المتكلم في كلامها. انظر الهامش: 48 بالصفحة نفسها. وانظر كذلك:

- Käte Hamburger (1986). *Logique des genres littéraires*, Éd : Seuil, Paris, pp.49-50

30 - نعني به المقطع التالي (ص3):

«الخاتم بجوار المصباح. الصمت يجلّ فتعمى الآذان. في الصمت يتسلّل الأصبغ. يضع الخاتم في صمت أيضا يطفأ المصباح. والظلام يعمّ.

في الظلام أيضا تعمى العيون. الأرملة وبناتها الثلاث. والبيت حجرة. والبداية صمت.»

31 - نعني بتغييب الزمن أو اللازمية التّمخّص للذّلالّة على الحاضر والاستمرار.

- 32 - المرجع السابق: بيت من لحم، ص3.
- 33 - نفسه، ص4.
- 34 - نفسه، ص3.
- 35 - نفسه، ص5.
- 36 - نفسه، ص7.
- 37 - نفسه، ص9.
- 38 - نفسه، ص3.
- 39 - نفسه، ص4.
- 40 - نفسه، ص5.
- 41 - نفسه، ص9.
- 42 - انظر المرجع السابق:
- Gérard Genette (1972). *Figures III*, op.cit., pp. 229-231.
- 43 - انظر:
- محمد الخبوي (2006): مداخل إلى الخطاب الإحالي، مكتبة علاء الدين، صفاقس- تونس، ص ص 161-201.
- 44 - تبهت نيكول لي كارلر إلى أنّ الموجّه (Sujet modal) لا يطابق دائما الذات المتلفّظة (Sujet énonciateur) فقد تصدر الجهة عن الذات الملقّظة مثلما قد تكون منقولة عن ذات مختلفة.
- انظر:
- Nicole Le Querler (1996). *Typologie des modalités*, Presses Universitaires de Caen, p.63.
- 45 - المرجع السابق: بيت من لحم، ص4.
- 46 - نفسه، ص5.
- 47 - نفسه، ص6.
- 48 - نفسه، ص7.
- 49 - نفسه، ص8.
- 50 - نفسه، ص10.
- 51 - نفسه، ص8.
- 52 - نفسه، ص10.

- 53 - نفسه، ص 11.
- 54 - نفسه، ص 7.
- 55 - نفسه، ص 6.
- 56 - نفسه، ص 11.
- 57 - نفسه، ص 3.
- 58 - نفسه، ص 4.
- 59 - نفسه، ص 7.
- 60 - نفسه، ص 7.
- 61 - نفسه، ص 9.
- 62 - نفسه، ص 4.
- 63 - نفسه، ص ص 4-5.
- 64 - نفسه، ص 6.
- 65 - نفسه، ص 8.
- 66 - نفسه، ص 9.
- 67 - انظر:
- الصادق قسومة (2002): باطن الشخصية القصصية، خلفياته وأدواته وقضاياها، دار الجنوب للنشر، تونس، ص ص 99-145.
- 68 - المرجع السابق: بيت من لحم، ص 4.
- 69 - نفسه، ص 8.
- 70 - نفسه، ص ص 8-9.
- 71 - نفسه، ص 10.
- 72 - انظر:
- كورنيليا فون راد- صكوشي (2003): الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، ص ص 13-15.
- 73 - انظر:

- محمد نجيب العمامي (2009): تحليل الخطاب السّردّي، وجهة النّظر والبعد الحجاجيّ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ومسكلياني للنشر والتّوزيع، تونس، ط.1. ومنه استفدنا في بناء هذا القسم.
- 74 - انظر المرجع السابق:
- محمد الحبو (2003): الخطاب القصصيّ في الرّواية العربيّة المعاصرة، ص 456.
- 75 - المرجع السابق: بيت من لحم، ص ص8-9.
- 76 - نفسه، ص10.
- 77 - نفسه، ص11.
- 78 - نفسه، ص11: «وليس على الأعمى حرج. أم على الأعمى حرج؟».
- انظر الآية 17 من سورة الفتح: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وانظر كذلك الآية 61 من سورة النور.
- 79 - نفسه، ص4.
- 80 - نفسه، ص4.
- 81 - نفسه، ص7.
- 82 - نفسه، ص10.
- 83 - نفسه، ص4.
- 84 - نفسه، ص5.
- 85 - نفسه، ص5.
- 86 - نفسه، ص7.
- 87 - نفسه، ص10.
- 88 - نفسه، ص3.
- 89 - نفسه، ص4.
- 90 - نفسه، ص3.
- 91 - نفسه، ص8.
- 92 - نفسه، ص9.
- 93 - نفسه، ص9.
- 94 - نفسه، ص ص9-10.

95 - نفسه، ص10.

96 - نفسه، ص10.

97 - نفسه، 10.

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصدر

- إدريس، يوسف (د.ت): بيت من لحم، دار مصر للطباعة، مصر.

❖ المراجع

1. المراجع العربية

- الخيو، محمّد (2003): الخطاب القصصي في الترواية العربية المعاصرة، دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقس - الجمهورية التونسية، ط1.
- إدريس، يوسف (2006): مداخل إلى الخطاب الإحالي، مكتبة علاء الدين، صفاقس - تونس.
- شارودو، باتريك - منغونو، دومينيك (2008): معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري - حمّادي صمود، دار سيناترا للنشر، المركز الوطني للترجمة، تونس.
- العمامي، محمّد نجيب (2009): تحليل الخطاب السردي، وجهة النظر والبعد الحجاجي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمؤونة ومسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1.
- فون راد- صكوح، كورنيليا (2003): الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب مؤونة، تونس.
- قسومة، الصادق (2002): باطن الشّخصية القصصية، خلفياته وأدواته وقضاياها، دار الجنوب للنشر، تونس.
- موشلر، جاك- ريبول، آن (2010): القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عزّ الدين الجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس.

2. المراجع الأجنبية

- **Benveniste, Émile** (1966). *Problèmes de linguistique générale*, I, II (1974 : II) Gallimard, Paris.
- **Cervoni, Jean** (1987). *L'énonciation*, P.U.F., Linguistique nouvelle, Paris.
- **Danon-Boileau, Laurent** (1982). *Produire le fictif : Linguistique et écriture romanesque*, Klincksieck, Paris.
- **De Mulder, Walter** (1998) « Du sens des démonstratifs à la construction d'univers », *Langue française, Volume 120, Numéro 1*, pp. 21 - 32
- **Ducrot, Oswald:**
 - _____ (1980). « Analyse de textes et linguistique de l'énonciation », in: Ducrot, O. et al., *Les Mots du discours*, Ed: Minuit, Paris, pp.7-56.
 - _____ (1984). « Esquisse d'une théorie polyphonique de l'énonciation », in: *Le Dire et le dit*, Ed: Minuit, Paris, pp.171-233.
- **Gardes-Tamine, Joëlle** (1992). *La stylistique*, Armand Colin, Paris.
- **Genette, Gérard :**
 - _____ (1972). *Figures III*, Ed : Seuil, Paris.
 - _____ (1983). *Nouveau discours du récit*, Ed : Seuil, Paris.
- **Hamburger, Käte** (1986). *Logique des genres littéraires*, Éd : Seuil, Paris.
- **Kerbrat-Orecchioni, Catherine** (1980). *L'énonciation de la subjectivité dans le langage*, Armand Colin, Paris.
- **Maingueneau, Dominique** (1990). *Pragmatique pour le discours littéraire*, Bordas, Paris.
- **Martin, Robert :**
 - _____ (1983). *Pour une logique du sens*, chapitre, I, P.U.F., Paris.
 - _____ (1987). *Langage et croyance*, chapitre, I. I., Mardaga, Bruxelles.
- **Moeschler, Jacques et Reboul, Anne** (1994). *Dictionnaire encyclopédique de pragmatique*, Seuil, Paris.
- **Le Querler, Nicole** (1996). *Typologie des modalités*, Presses Universitaires de Caen.

- **Rabatel, Alain** (2008). *Homo narrans. Pour une analyse énonciative et interactionnelle du récit*, Editions Lambert-Lucas, Limoges.
- **Rivara, René** (2000). *La langue du récit : Introduction à la narratologie énonciative*, L'Harmattan, Paris.
- **Van Den Heuvel, Pierre** (1985). *Parole, Mot, Silence : Pour une poétique de l'énonciation*, Librairie José Corti.